جرح محمد بن إسحاق بن يسار (ت 151هـ)

جمع نصوص الطعن فيه، وما انفرد به في الفتنة والفضائل، مع قراءة تفسيرية

تمهيد: الرجل وسياقه

محمد بن إسحاق بن يسار المدني المطلبي مولاهم، خرج من المدينة قديمًا فطاف الكوفة والجزيرة والري، ثم استقر ببغداد حتى مات بها (تهذيب التهذيب، ط الرسالة 3/506). واتصل بالبلاط العباسي، فذكر الخطيب البغدادي وغيره أنه صنّف المغازي للخليفة المنصور ولابنه المهدي؛ فكتابه الذي طبّقت شهرته الآفاق إنما وُضع برعاية الدولة العباسية وتحت عينها. وأهل بلده الذين خبروه أعرف الناس به، وهم الذين جرحوه أشد الجرح، وعلى رأسهم إماما المدينة: مالك بن أنس وهشام بن عروة.

أولًا: من كذّبه نصًّا

اجتمع على إطلاق لفظ الكذب عليه خمسة من رجال القرن الثاني:

1. **هشام بن عروة بن الزبير**: قال يحيى بن سعيد القطان: سمعت هشام بن عروة يقول: «**يحدث ابن إسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر، والله إن رآها قط**» (تهذيب التهذيب 3/505). وفي رواية: «**حُدِّث عن امرأتي فاطمة بنت المنذر، وأُدخلت عليّ وهي بنت تسع سنين، وما رأت رجلًا حتى لقيت الله**» (سير أعلام النبلاء 7/45).

فهذا زوجها وأعلم الناس ببيته يشهد عليه بادعاء سماعٍ لم يقع.

2. **مالك بن أنس إمام دار الهجرة**: قال: «**دجّال من الدجاجلة**» (تهذيب التهذيب 3/505)، وفي رواية لما بلغه قول ابن إسحاق في الموطأ «ائتوني به فإني أنا بيطاره»: «**هذا دجّال من الدجاجلة، يروي عن اليهود**» (سير أعلام النبلاء 7/47؛ تاريخ بغداد). والدجّال في لسان العرب: الكذّاب المموِّه الذي يغطي الحق بالباطل، فهو أغلظ من لفظ «كذّاب» نفسه.

3. **سليمان التيمي البصري العابد**: كذّبه، كما نص عليه ابن حجر (تهذيب التهذيب 3/507).

4. **يحيى بن سعيد القطان**: شيخ النقاد وأستاذ أحمد وابن معين والمدرسة كلها، كذّبه، ورُوي عنه: «**ما تركت حديثه إلا لله، أشهد أنه كذّاب**» (تهذيب التهذيب 3/507؛ سير أعلام النبلاء 7/45).

5. **وهيب بن خالد البصري**: كذّبه، وقد سأل مالكًا وهشامًا بنفسه فسمع الجرح من فمهما (تهذيب التهذيب 3/507؛ سير أعلام النبلاء 7/45).

والقراءة التفسيرية لهذه الشهادات: أن الذين كذّبوه ليسوا آحادًا مغمورين، بل زوج شيخته، وإمام المدينة، وإمام نقاد البصرة؛ أهل بلده وعشرائه الذين عاينوه، بخلاف من وثّقه من أهل العراق الذين إنما عرفوه شيخًا قادمًا عليهم بغرائب المغازي. ومن قدّم أهل الخبرة الملاصقة على أهل السماع البعيد — وهو الأصل في باب الشهادات — لم يستطع اطّراح هذه النصوص.

ثانيًا: الجرح في ضبطه وطريقته في الرواية

الناقد	نص الجرح	المصدر
أحمد بن حنبل	«ليس بحجة»، «لم يكن يحتج به في السنن»، «كان ابن إسحاق يدلّس»، وسئل: إذا انفرد بحديث تقبله؟ قال: «لا والله، إني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا»	تهذيب التهذيب 3/506
أحمد أيضًا	«كان رجلًا يشتهي الحديث، فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه»، «قدم بغداد فكان لا يبالي عمّن يحكي، عن الكلبي وغيره»	تهذيب التهذيب 3/506
ابن نمير	«إنما أُتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة»	تهذيب التهذيب 3/505-506
ابن معين	«ليس بالقوي»، «ليس بذاك، ضعيف»، وعن الميموني: «ضعيف»، وفي رواية: «ثقة وليس بحجة»	تهذيب التهذيب 3/506
النسائي	«ليس بالقوي»	تهذيب التهذيب 3/506
الدارقطني	«اختلف الأئمة فيه، وليس بحجة، إنما يُعتبر به»	تهذيب التهذيب

3/507

أبو حاتم «يُكتب حديثه» — وهي عند أهل الاصطلاح من ألفاظ التليين: يُكتب للاعتبار تهذيب التهذيب

الرازي لا للاحتجاج 3/507

تهذيب التهذيب

ابن المديني «لم يضعه عندي إلا روايته عن أهل الكتاب»

3/507

مصعب تهذيب التهذيب

«كانوا يطعنون عليه بشيء من غير جنس الحديث»

الزبيري 3/505

فمجموع هذا الباب أربع علل قائمة في صنعته: **التدليس** المطبق حتى قيّد أحمد قبول حديثه بتصريح السماع في كتاب إبراهيم بن سعد وحده، و**جمع الأسانيد** في سياق واحد فلا يتميز لفظ هذا من لفظ ذاك، وهي طريقة تفسد الحجية من أصلها، و**الأخذ عن كل أحد** من المجهولين وأهل الكتاب وأبناء يهود المدينة وعن الكلبي المتروك، و**أخذ كتب الناس** ووضعها في كتبه، وهو ما يسميه المحدثون سرقة الصحف.

ثالثًا: البدع المنسوبة إليه: القدر والتشيع

القدر: قال الدراوردي: «**وجُلد ابن إسحاق، يعني في القدر**» (تهذيب التهذيب 3/505). فلم يكن الأمر مجرد قالة، بل بلغ أن ضُرب عليه بالسياط في المدينة، ولا يُجلد الرجل في بدعة إلا وقد قامت عليه فيها شهرة وبيّنة عند ولاتها

وفقهائها. وقال أبو زرعة الدمشقي عن دحيم إن كلام مالك فيه إنما كان «**لأنه اتهمه بالقدر**» (تهذيب التهذيب 3/505)، فمالك نفسه — وهو من هو في التثبت — عدّه قدريًّا.

التشيع: قال ابن حجر في التقريب: «**ورُمي بالتشيع والقدر**»، وقال الجوزجاني: «**الناس يشتهون حديثه، وكان يُرمى بغير نوع من البدع**» (تهذيب التهذيب 3/505)، أي اجتمعت فيه بدع متعددة الأنواع لا بدعة واحدة.

والقراءة التفسيرية: رجل هذه حاله — قدري مجلود، مرميّ بالتشيع، متصل بالدولة العباسية التي قام سلطانها على دعوى آل البيت — يضع كتابًا في السيرة برعاية خلفائها؛ فاجتماع هوى المذهب وهوى السلطان في كتاب واحد يوجب على الناظر أشد الحذر في كل ما تفرد به من أخبار الفتن والفضائل والمثالب، فإن المغازي والسير هي الميدان الذي تُصفّى فيه الحسابات المذهبية. وقد قال البخاري: «**ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها**» (تهذيب التهذيب 3/505)، وتفرُّدُ من هذه صفته بألف حديث بابٌ واسع للمناكير.

رابعًا: نماذج مما انفرد به في الفتنة والفضائل، مع تخريجها

قاعدة الباب: قال البخاري: «**محمد بن إسحاق ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها**» (تهذيب التهذيب 3/505)، وسئل أحمد: إذا انفرد بحديث تقبله؟ قال: «**لا والله**» (تهذيب التهذيب 3/506)، وقال الذهبي: «**له غرائب في سعة ما روى تُستنكر**» (ميزان الاعتدال، ترجمته). فهذه أمثلة محققة من تلك الغرائب في أبواب الفتنة والفضائل:

1.**حديث الدار (يوم الإنذار)**: «**إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا**»، قاله ﷺ لعليّ — بزعم هذه الرواية — أمام بني عبد المطلب أول الدعوة.

التخريج: أخرجه الطبري في تاريخه (ذكر بدء الدعوة) وفي تفسيره عند قوله تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الغفار بن القاسم أبو مريم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، عن علي.

الحكم: مداره على شيخ ابن إسحاق أبي مريم عبد الغفار بن القاسم الكوفي، وهو رافضي متروك، رماه علي ابن المديني بوضع الحديث، وقال أحمد: ليس بثقة. فالخبر باطل من هذا الوجه، وهو أصل عظيم عند أصحاب مقالة الوصية والإمامة لم يصل إليهم إلا من قناة ابن إسحاق عن هذا المتروك؛ وهذا هو الشاهد الأمثل لقول ابن نمير: «إنما أُتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة»، ولما رُمي به من التشيع.

2.**قصة الغرانيق**: زعمُ الرواية أن الشيطان ألقى على لسانه ﷺ في سورة النجم: «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى».

التخريج: من أشهر طرقها طريق ابن إسحاق عن يزيد بن زياد المدني عن محمد بن كعب القرظي، أخرجها الطبري في التفسير والتاريخ، وهي مرسلة ليس فيها صحابي، وسائر طرقها مراسيل واهية.

الحكم: قال الشوكاني: «**ولم يصح شيء من هذا ولا يثبت بوجه من الوجوه**»، وقال الشنقيطي: «**لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج**». فانظر كيف جرى في قناة ابن إسحاق خبرٌ تلقّفه الطاعنون في العصمة والمستشرقون من بعدهم، وأصله مرسلٌ قرظيٌّ من أبناء يهود بني قريظة، وهو عين ما أنكره عليه مالك

بقوله: «يروي عن اليهود».

3.**فضائل عليّ في سيرته**: منها قوله: «**أول ذكر آمن برسول الله ﷺ وصلى معه وصدّق بما جاءه: علي بن أبي طالب، وهو يومئذ ابن عشر سنين**»، ومنها خبر المبيت على الفراش ليلة الهجرة بطوله: «**نم على فراشي وتسجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم**» (سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق).

التخريج والحكم: عامة هذه المادة يسوقها ابن إسحاق بالبلاغ («فيما بلغني») أو بأسانيد معضلة لا تتصل، ثم صارت بجريان الزمن أصولًا يحتج بها أصحاب مقالات التفضيل والإمامة كأنها مسلّمات؛ وناقلها رجل مرميّ بالتشيع صنّف كتابه لدولة قامت دعوتها على حق آل البيت، فاجتمع في الخبر ضعف السند وموافقة هوى الراوي وهوى راعيه.

4.**مادة أهل الكتاب في المبتدأ والمغازي**: كان يتتبع أخبار الغزوات كقريظة وخيبر والنضير من أولاد اليهود الذين أسلموا، وهو نفسه ما فسّر به ابن حبان إنكار مالك عليه، وقال ابن المديني: «**لم يضعه عندي إلا روايته عن أهل الكتاب**» (تهذيب التهذيب 3/507). فدخلت من هذا الباب إسرائيليات وأخبار لا خطام لها ولا زمام في المبتدأ وقصص الأنبياء وأخبار المغازي.

والقراءة التفسيرية لهذا الباب: النمط واحد مطّرد: تفرُّدٌ بأخبار جسام في أبواب حساسة (الوصية، العصمة، التفضيل)، عبر شيوخ متروكين أو مراسيل أو بلاغات لا تتصل، بما يوافق البدعتين المرميّ بهما وهوى الدولة التي صنّف لها. ومن اجتمع فيه ضعف الآلة والتهمة في الهوى لم يُقبل تفرده في مثل هذا بحال.

خامسًا: حاصل الجرح

كذّبه خمسة من أعيان القرن الثاني وفيهم إماما المدينة وإمام نقاد البصرة، وأجمع من بعدهم على أنه ليس بحجة: صرّح بها أحمد وابن معين في رواية والدارقطني؛ وضعّفه ابن معين في روايات والنسائي؛ وثبت تدليسه وأخذه عن المجهولين وأهل الكتاب وجمعه الأسانيد وأخذه كتب الناس، وجُلد في القدر ورُمي بالتشيع، وصنّف كتابه للعباسيين. فأقل أحواله عند من يحسن الظن أنه لا يُحتج بشيء ينفرد به، لا في الأحكام ولا في أخبار الفتن والفضائل، وأن ما تفرد به في السيرة يُروى للاستئناس لا للاعتقاد، وأما من قدّم جرح أهل بلده العارفين به فالأمر عنده أشد.

المصادر

ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب (ط مؤسسة الرسالة)، ترجمة محمد بن إسحاق، 3/504-507؛ وتقريب التهذيب، ترجمته.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترجمة ابن إسحاق (الطبقة السادسة، 7/33-55)؛ وميزان الاعتدال، ترجمته.

الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ترجمة محمد بن إسحاق.

المزي، تهذيب الكمال، باب الميم، ترجمة محمد بن إسحاق بن يسار.

الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ذكر بدء الدعوة (حديث الدار)؛ وجامع البيان عند آية ﴿وأنذر عشيرتك

الأقربين﴾ وسورة الحج (قصة الغرانيق).

ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (إسلام علي، والمبيت على الفراش).

الشوكاني، فتح القدير، والشنقيطي، أضواء البيان (في الحكم على قصة الغرانيق).

جمع وتحرير – مجلة معاوية